وصايا من حديث العرباض بن سارية

رضي الله عنه

أ.د. صالح بن عبد العزيز سندي

أستاذ العقيدة بالجامعة الإسلاميّة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أمّا بعدُ:

فقد أخرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذي بإسناد صحيح عن النبيِّ ﷺ أنه وعظ أصحابه موعظة بليغة.

يقول العرباض بن سارية راوي الحديث رضي الله عنه: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون، فقلنا يا رسول الله: كأنها موعظة مودع فأوصنا، فقال عَلَيهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامَ: «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**».

هذا الحديث حديث عظيم وفيه وصايا نافعة لكل مسلم، وهو علَم من أعلام نبوة النبي ﷺ، إذ أخبر النبي عَلَيهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامَ في هذا الحديث بأمر غيبي، يعني: لم يكن في وقته عَلَيهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامَ أخبر أنه سيكون، وهو الاختلاف الكثير الذي سيقع في هذه الأمة.

قال: «**فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا**»، اختلاف في هذه الأمة، بل وموصوف بأنه اختلاف كثير.

هنا كأنّ أصحاب النبي ﷺ تَشَوَّفُوا إلى معرفة المَخْرج من هذه الفتن التي ستحيط بهذه الأمة، فجاء جوابه ﷺ متضمِّنًا الدواء الناجع، فقال: «**فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**».

العضُّ بالنواجذ لا يكون إلا لشيء ثمين يخشى الإنسان من فقدانه، هكذا سنة النبي ﷺ ينبغي أن يكون التمسك بها عند حدوث الافتراق وحدوث البدع في هذه الأمة ينبغي أن يكون التمسك تمسُّكًا عظيمًا.

ثم بيّن ضرورة اجتناب ما يُضادُّ هذا التمسّك بالسنة، قال: «وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ».

إياكم يعني: احذروا.

محدثات الأمور يعني: الأمور الحديثة الحادثة الجديدة التي تكون في الدين.

والسبب: أنّ هذه المحدثات حكمها في الشرع أنها بدعة، وإذا كانت بدعة كانت ضلالة. هذا كلام الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ.

وجاء في حديث جابر رضي الله عنه الذي خرجه الإمام مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ كان يخطب في أصحابه.

ولاحظ أنّ الصحابي قال: كان يفعل، كان يخطب، مما يشعر بأن هذا كان متكررًا من النبي ﷺ، كان يخطب في أصحابه فيقول: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ».

زاد النسائي في سننه: «وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ».

هذا كلام نبينا الحبيب محمد ﷺ.

البدعة، كان النبي ﷺ يحذر أصحابه كثيرًا منها، ويكرر على مسامعهم ضرورة اجتنابها لخطورتها. هذا كان يتوجه –أعني الحديث– كان يتوجه إلى أصحاب النبي ﷺ الذين هم أعظم الناس تمسكًا بسنة النبيِّ ﷺ.

فما أحرى هذه الأمة أن تعتني بهذه الوصايا الشريفة من لدن رسول الله ﷺ!

إنّ التعبّد لله جَلَّ وَعلا ليس حمىً مباحًا بحيث يتعبد الإنسان لله جَلَّ وَعلا بما يسنح له وما يحب وما يهوى. هذا أمر غير صحيح باتفاق المسلمين، التقرب إلى الله جَلَّ وَعلا

لا يكون إلا بما شرع الله وفق ما شرع الله. هذا الذي يقرب إلى الله وهذا الذي ينفع عند الله، وما سوى ذلك فما يزيد صاحبه عن الله ﷻ إلا بعدًا.

قال السلف رَحِمَهُم اللهُ: كل عبادة بلا اقتداء فلا تزيد صاحبها من الله إلا بعدًا.

ليس الشأن أن تعبد الله كما تحب، إنما الشأن أن تعبد الله كما يحب.

الله جَلَّ وَعلا خلقنا وابتلانا ويجازينا إذ ا لقيناه سُبْحَانَهُ وَتعَالَى بناءً على هذا الابتلاء، قال جَلَّ وَعلا: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: 2]. ما قال ربُّنا: ليبلوكم أيّكم أكثر عملًا، إنما قال: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾.

والعمل الأحسن هو المقرون بالإخلاص، المقيد باتباع النبي ﷺ، وما سوى ذلك فإنه بدعة وضلال.

البدعة دهليز الظلمات ومَهْيع الشر، وفي حشْوها من السموم المضعفة للإيمان والتوحيد الشيء الكثير، ويكفي أن تتأمل فيما يأتي يا رعاك الله.

بدعة يعني: أمر جديد في الدين، أمر محدث، ليس عليه خاتم النبوة، ليس عليه أثارة من هدي النبي ﷺ، لا دليل عليه، لا من كتاب ربنا ولا من سنة نبيه عَلَيهِ الصَّلَاةُ والسَّلَام، هذا هو الأمر المبتدع.

❑ **هذه البدع يدلُّك على خطرها العظيم أمورٌ:**

۞ **أوّلًا:** أن البدع معاندة للشرع، ومحادة لصاحب الشرع، ومجانبة للمنهاج الذي خطه رسول الله ﷺ.

النبي ﷺ بيّن لنا سنة واضحة مباركة، أمرنا باتباعها فجاء المبتدع وارتضى لنفسه أن يسلك طريقا أخرى.

وفي مسند الإمام أحمد بسند حسن من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ خَطَّ يومًا خَطًّا –وضع خطًا في الأرض– وَقَالَ: «هَذَا سَبِيلُ اللهِ»، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ يَسَارِهِ، وَقَالَ: «هَذِهِ سُبُلٌ، عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾.

هذا الذي أمرنا به ربنا، وهذا الذي حثّنا عليه نبيه ﷺ.

۞ **ثانيًا:** أنّ المبتدع في الدين المحدث فيه ما ليس منه يلزمه أحد لازمين:

▪ أوّلًا: أن يكون مستدركًا على الشرع متهمًا إياه بالنقص. إذا جاء هذا المبتدع بشيء من الدين، ذكرٌ جديدٌ أو هيئةٌ جديدةٌ في الذكر أو هيئة جديدة في الصلاة أو احتفال جديد يتقرب به إلى الله أو غير ذلك من هذه البدع والمحدثات، إذا جاء بها هذا المبتدع فلسان حاله يقول: الدين ناقص وهذا خير غفل عنه الشرع. فأنا أكمِّل هذا النقص، وهذا لا يقوله مسلم؛ لأن الله جَلَّ وَعلا قد أخبرنا ومن أصدق من الله حديثًا أنّ هذا الدين كامل، وأنّ نبيه ﷺ قد بلّغ البلاغ المبين.

نبينا عَليهِ الصَّلَاةُ والسَّلَام ما لحق بالرفيق الأعلى إلا وقد بلغ أعظم البيان وأتمه، ما ترك شيئًا يقربنا إلى الله إلا بيّنه، ولا شيئًا يبعدنا عن الله إلا حذرنا منه.

لَقَدْ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ -كما يقول أبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: "وَمَا طَائِرٌ يُقَلِّبُ جَنَاحَيْهِ فِي السَّمَاءِ إِلَّا ذَكَرَ لَنَا مِنْهُ عِلْمًا".

قال عَليهِ الصَّلَاةُ والسَّلَام كما في صحيح مسلم: «مَا بَعَثَ اللهُ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ وَيَنْهَاهُمْ عَنْ شَرِّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ».

إذن هذا المبتدع يقول: هذا خير وشيء يقرب إلى الله، ولكنه لم يأتِ على لسان رسول الله ﷺ، فالدين إذن ناقص وأنا أكمل هذا النقص! وهذا لا يقوله مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر.

▪ **أو -وهذا اللازم الثاني-:** أن يكون متَّهِمًا رسول الله ﷺ بالخيانة.

يعني: لسان حاله يقول: هذا من الدين الذي أمر الله نبيه ﷺ أن يبلغه لكنه كتم وما فعل، فيكون متَّهِمًا رسول الله ﷺ بالخيانة، وهل يقول هذا مسلم شم رائحة الدين؟!

قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ -وهذه كلمة حسنة تكتب بماء العين- قال رَحِمَهُ اللَّهُ: من ابتدع بدعة يراها حسنة فقد زعم أنّ محمدًا ﷺ خان الرسالة، فإن الله تعالى يقول: ﴿**الْيَوْمَ**

﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: 3]، فما لم يكن بالأمس دينًا لا يكون اليوم دينًا.

ما أحسن هذا الكلام وما أحراه بالحفظ وأن يكون نصب عين كل مسلم!

فما لم يكن بالأمس دينًا لا يكون اليوم دينًا.

متى هذا الأمس؟ في عهد النبي ﷺ، إن لم يكن هذا الفعل، إن لم يكن هذا القول، إن لم يكن هذا الاعتقاد دينًا يدان الله ﷻ به في عهد النبي ﷺ فلا يمكن أن يكون اليوم دينًا.

إذن هذا يدلك على خطر البدعة.

۞ **وأمرٌ ثالثٌ:** وهو أنّ الإحداث في الدِّين اتباع للهوى.

كل بدعة فهي اتباع للهوى ولابد، والمبتدع قدم هوى نفسه على هدى ربه، شاء أم أبى؛ لأنه ليس أمام الإنسان إلا طريقان لا ثالث لهما: إما أن يتبع النبي ﷺ أو أن يتبع الهوى. ليس هناك طريق ثالثة.

دليل هذا في كتاب الله: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [القصص: 50]، واتّباع الهوى شرٌّ.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللهِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: 50].

إذن إما الاستجابة للنبي ﷺ، إما التمسك بسنته، أو اتباع الهوى. فإن لم تكن متبعًا لهذا النبي الكريم ﷺ فارضَ لنفسك أن تكون متبعًا للهوى.

۞ **وأمرٌ رابعٌ:** وهو أن كل مبتدع أحدث في الدين ما ليس منه فحقيقة الحال أنه كذب على الله وقال عليه بغير علم. وهل تعلم –يا رعاك الله– أنّ القول على الله بغير علم من أعظم الذنوب والمعاصي؟

قال جَلَّ وَعلا: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 33].

جعل الله جَلَّ وَعلا القول عليه بغير علم قرين الشرك بالله، الإحداث في الدين قول على الله بغير علم، كذب على الله.

وهل هناك أعظم افتراءً ممن كذب على الله ﷻ؟ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا﴾، الجوابُ: لا أحد.

ولذلك تلحظ إنْ تأمّلتَ أنّ حال المشرك مشابه لحال المبتدع، فكلاهما يعبد الله بغير سلطان وبغير هدى وبغير دليل. تأمل في قول الله جَلَّ وَعلا: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ [الحج: 71].

إذن من لم يعبد الله على دليل وبرهان فإنه في حقيقة الحال افترى على الله كذبًا، فإن لسان حاله يقول: هذا يقرب إلى الله، هذا يزيدني عنده زُلْفًا، والواقع أن هذا افتراء، فالله ما أخبر بذلك، وكذا نبيه الكريم ﷺ.

إذن لتعلم –يا رعاك الله– أن الاختبار والامتحان والابتلاء الحقيقي هو أن تكون متعبدًا لله جَلَّ وَعلا وفق هدي النبي ﷺ.

قد يقولُ قائلٌ: كيف لك أن تقول هذا وفي الدين بدعة حسنة؟ يعني: كلامك هذا ينصب على نوع من المحدثات هي البدع المكروهة، لكن في الدين بدع حسنة، ولذلك نحن نعمل بها ولا حرج علينا.

فمثلًا: بعد صلاة الفريضة نرفع أيدينا وندعو دعاء جماعيًا بصوت واحد مع الإمام وإذا قلت لي: هذا أمر ما فعله النبي ﷺ سأقول لك صحيح، لكن هذه بدعة حسنة، والبدعة الحسنة لا حرج فيها.

قُلْنَا: ما الدليل على أنّ في الدين بدعة حسنة؟ قال: الدليل على هذا في سنة النبي ﷺ.

أين في السنة أنّ في الدين بدعة حسنة؟ قال: ألم تسمع بما خرّج الإمام مسلم في صحيحه: أنّ النبيَّ ﷺ قال: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ»، إذن في الدين بدعة حسنة.

وهذا عمر رضي الله عنه كما عند البخاري قال في شأن صلاة التراويح: "نعمت البدعة هذه".

إذن في الدين بدعة حسنة.

- **والجوابُ عن هذا أن يقال:** إن هذا الكلام غير صحيح، وهذا الاستدلال غير صحيح، ليس في الدين شيء اسمه بدعة حسنة.

يقول ابن عمر رضي الله عنهما كما خرّج ذلك ابن بطة واللالكائي: "كلُّ بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة".

وهذا الإمام مالك رحمه الله إمام دار الهجرة يقول: من ابتدع بدعة يراها حسنة فقد زعم أنّ محمدًا ﷺ خان الرسالة.

إذن ليس في ديننا شيء اسمه بدعة حسنة.

- وأما هذا الاستدلال بحديث النبي ﷺ فإنه استدلال غير صحيح، لماذا؟ لأنّ النبي ﷺ تكلّم بهذا الكلام في شأن أمر ليس ببدعة.

يعني: هذا الحديث قاله النبي ﷺ لسبب، والعلماء متفقون على أن سبب ورود الحديث مما يفسر به الحديث.

يعني: نحن نفهم الحديث أو نفهم الآية في ضوء سبب نزول الآية أو سبب ورود الحديث، وهذا أولى ما يوضح لك معنى النص الشرعي، أن تنظر في سبب ورود هذا الحديث.

دعونا نعلم ما هو سبب قول النبي ﷺ: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ»؟

سبب الحديث: أنه قد جاء قوم من الأعراب الفقراء إلى المدينة، فحث ﷺ على الصدقة، فكأن الناس تأخروا حتى عُرفت كراهة ذلك في وجه النبي ﷺ، حتى قام رجل من الأنصار فأسرع إلى بيته، ثم عاد ومعه صبرة من طعام كادت أن تعجز عنها يده حتى وضعها بين يدي النبي ﷺ، فلما رآه الناس قاموا وتتابعوا على الصدقة، ففرح النبي ﷺ

حتى عُرف السرور في وجهه، ثم قال: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ».

أترى السنة الحسنة في هذا الحديث يريد بها النبي ﷺ الأمر المحدث المبتدع؟ هل الصدقة بدعة أو سنة نبوية؟ سنة نبوية.

إذن ما قال النبي ﷺ هذا الحديث في شأن أمر محدث.

إذن ما معنى قوله: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ»؟ الجواب: أن نقول: خير ما يُفسَّر به الحديث الحديث نفسه.

فقد خرج الإمام ابن ماجه في سننه بإسناد صحيح أن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَحْيَا سُنَّةً مِنْ سُنَّتِي قَدْ أُمِيتَتْ بَعْدِي، فَإِنَّ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلَ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنَ النَّاسِ، لَا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِ النَّاسِ شَيْئًا».

إذن في الحديث الأول قال: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ»، وفي الحديث الآخر قال: «مَنْ أَحْيَا سنّة» والأجر واحد.

إذن هذا الحديث يفسر هذا الحديث.

«مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً»، يعني: أحياها وبيَّنها ودعا الناس إليها، هذا الحديث ضُمّ إليه الحديث الآخر المخرج في مسلم أيضًا بعد الحديث الذي بين أيدينا. أخرج مسلم حديثا آخر كأنه يفسره به وهو حديث أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ قال: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ اتَّبَعَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْقِصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا».

إذن ضع هذه الثلاثة ألفاظ متجاورة يتضح لك المعنى، سنَّ يعني: أحيا سنة، يعني: دعا إلى سنة.

إذن نفهم قوله ﷺ في ضوء أحاديثه عَلَيهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ، نضم بعضها إلى بعض فيتضح المعنى جليًا.

«مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً»، يعني: أنه سنَّ العمل بها تنفيذًا، وليس سنَّ العمل بها تشريعًا. هناك فرق بين الأمرين.

إذن اتضح لنا أن قوله: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً» لا يدل على ثبوت البدعة الحسنة.

يقول لنا: فماذا أنت قائل يا هذا في قول عمر رضي الله عنه: "نعمت البدعة هذه"، والأثر في البخاري؟ الجواب عن هذا أن نقول:

- **أوّلًا:** ليس لأحد أن يعارض كلام النبي ﷺ بكلام أحد من الناس مهما كان.

نبينا ﷺ يقول: «وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»، (وَكُلُّ) عند الأصوليين: من ألفاظ العموم، فيشمل ذلك جميع أنواع البدع، وليس لإنسان أن يعارض قول النبي ﷺ بقول أحد كائن من كان.

قال الإمام مالك رحمه الله: كلُّ أحدٍ يُؤخذ من كلامه ويُترك إلا صاحب هذا القبر، وأشار إلى قبر النبي ﷺ.

إذن لا يجوز ان تعارض كلام النبي ﷺ بكلام أحد من الناس.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: "يُوشِكُ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْكُمْ حِجَارَةٌ مِنْ السَّمَاءِ أَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَتَقُولُونَ قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ؟".

إذن هذا الجواب الأول.

- **والجوابُ الثّاني:** أن يقال: إن البدعة في كلام عمر رضي الله عنه أهي الأمر المحدث في الدين أم لا؟

حتى نفهم الأثر على وجهه دعونا ننظر، عمر رضي الله عنه وصف ماذا بقوله: "نعمت البدعة"؟ أليس صلاة التراويح؟ يعني: قيام رمضان جماعة.

عمر رضي الله عنه هل وصف هذا الفعل؛ لأنه شيء ما فعله النبي ﷺ؟

دعوننا نظر، فتّشنا وجدنا في صحيح البخاري أن النبي ﷺ قام بأصحابه بعض الليالي في رمضان، حتى كانت الليلة الثالثة أو الرابعة ما خرج إليهم، ثم أخبرهم بعد ذلك بالسبب وهو أنّه خشي عَليهِ الصَّلَاةُ والسَّلاَم من أن تُفرض على الصحابة. فترك الخروج إليهم والصلاة بهم جماعة.

إذن ثبوت صلاة الجماعة في قيام رمضان أمر ثابت في السنة بفعله عَليهِ الصَّلَاةُ والسَّلاَم، وإنما عدم استمراره عليه كان لعلّة، وهذه العلّة زالت بموت النبي ﷺ.

إذن نحن نقطع أنّ صلاة التراويح ليست بدعة شرعية قطعًا.

إذا كان ذلك كذلك ماذا أراد عمر رضي الله عنه بقوله: "نعمت البدعة"؟ الجواب: قال العلماء: أراد البدعة اللغوية.

ما معنى هذا الكلام؟ البدعة في اللغة: هي الأمر الجديد الذي لم يكن على مثال سابق.

وصلاة التراويح جماعة أمر جديد بالنسبة للعهد الذي سبقه وهو عهد أبي بكر رضي الله عنه، فقد انقضت خلافة أبي بكر رضي الله عنه وما صلّى الصحابة صلاة التراويح جماعة، كذلك في مبتدأ خلافة عمر رضي الله عنه لم تُقم صلاة التراويح جماعة في مسجد النبي ﷺ.

إذن هي بدعة لغوية، يعني: أمر جديد نسبيًا بالنسبة إلى عهده في مبتدأ خلافته، وبالنسبة إلى عهد أبي بكر رضي الله عنه. فليست هي البدعة الشرعية، وكلامنا يتعلق بالبدع المتعلقة بالشرع، هذه التي جاءت فيها النصوص عن النبي ﷺ بالتّحذير منها.

- **وجوابًا ثالثًا:** وهو أنّ عمر رضي الله عنه إنّما قال هذا الكلام على سبيل التنزّل في المحاورة والمراغمة في الجدال. يعني: الآن عمر رضي الله عنه لما خرج أوّل مرة فرأى الصحابة يصلّون أوزاعًا، هذه يصلّي وحده، واثنان يصليان هنا، وثلاثة يصلون هنا، فأمر أُبيًّا رضي الله عنه أن يصلي بهم جماعة، ثم خرج إليهم بعد ذلك فرآهم يصلون جميعًا، فقال له بعضهم: هذه بدعة يعني: أمر جديد ما كان في العهد السابق، فقال: "نعمت البدعة هذه".

هذا عند علماء الجدل يسمى التنزّل مع الخصم، يعني: إذا كانت بدعة فلتكن، هذه بدعة طيبة، هذه بدعة حسنة، والواقع أنها ليست بدعة.

يعني: كما أنّك مثلًا إذا فعلت شيئًا صوابًا فيأتيك شخص يجادلك يقول: هذا الذي فعلته خطأ وأنت مخطئ وأنت متأكد أنك على حق، فتقول: يا أخي إذا كان هذا خطأ فأنا راض بالخطأ. انتهى يا أخي أنا مخطئ.

على حد قول الشافعي رحمه الله:

إن كـان رفضًـا حـب آل محمـدٍ فليشـهد الـثقلان أني رافـضي

هل حب آل بيت النبي ﷺ رفض؟ الجواب: لا. لكنه قاله على سبيل التنزّل.

وكما قال الآخر:

إن كان نصبًا حب صحب محمدٍ فليشـهد الـثقلان أني ناصـبي

إذن هذا ليس فيه إثبات أنها بدعة، إنما كان هذا على سبيل التنزّل مع الخصم.

إذن ليس للإنسان حينئذٍ أن يستدل بهذا الكلام (كلام عمر رضي الله عنه) على استحباب البدعة الحسنة.

✓ **والخلاصة:** أنّ أحاديث النبي ﷺ كلّها مُطبقة على التّحذير العامّ من البدع وعدم تقسيمها.

يكرّر النبي ﷺ على أصحابه دائمًا: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ»، إلى أن يقول: «وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ». (كُلُّ) باستمرار يكرر عَلَيهِ الصَّلَاةُ والسَّلاَم، ولا مرة واحدة قال إلا بعض البدع فإنها حسنة.

يقول النبي ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»، «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»، وما استثنى النبيّ ﷺ حالة دون حالة، هذا أولًا.

✓ **ثانيًا:** لو أنه فُتح للناس باب استحسان البدع ما بقيت بدعة يحذَّر منها، لمَ؟ لأنّ كل بدعة فهي عند صاحبها حسنة وإلا ما فعلها، يعني: لا أحد يأتي بأمر محدث في الدين يتقرب به إلى الله ويقول هذا شر وسيء، ما أحدٌ يفعل هذا. كلّ من يعمل بدعة فهو يراها في نفسه حسنة.

إذن بالتالي لا توجد بدعة يُحذر منها، لا توجد بدعة سيئة؛ لأن كل بدعة عند صاحبها حسنة، هذا أمر ثاني.

✓ **أمر ثالث:** ما هو الضابط في حُسن البدع؟ يعني: كيف نحكم على أن هذه بدعة حسنة وأن هذه بدعة غير حسنة؟

إن كان الضابط والميزان هو الشرع فإن ما وافق الشرع لا يكون أصلًا بدعة.

إذن لا يمكن أن يكون الضابط في حُسن البدع الشرع.

إذن لابد أن يكون الضابط هو العقل. إذا حكم العقل على بدعة أنها حسنة فهي حسنة.

والسؤال هنا: عقلُ من الذي سيكون المرجع؟ أليست العقول متفاوتة ومختلفة؟ أليس عقل فلان يستحسن ما يستقبحه عقل فلان؟

إذن كيف سيكون ضبط هذا الأمر أن نقول: هذه البدعة صحيح حسنة وهذه البدعة ليست حسنة؟

أنت تقول: هي بدعة حسنة، لكن أنا أقول: هي بدعة غير حسنة؛ وبالتالي لا يوجد ضابط.

✓ **أضف إلى هذا أمرًا رابعًا:** أرأيت لو فُتح للناس أن يستحسنوا في دين الله ما ليس منه، كيف سيكون حال هذا الدين مع مرور الزمن؟

يعني: لو أننا اتّفقنا على أنه يجوز ويصحّ أن نُدخل في الدّين كل شهر بدعة واحدة حسنة. كل مرّة نُدخل في الصلاة مثلًا شيئا جديدًا، أخبروني بعد عشر سنوات أو عشرين سنة أو مائة سنة كيف سيكون الحال؟ أليس سيكون الشرع متبدِّلًا والناس قد انسلخوا من الدين الذي بُعث به النبي ﷺ؟

والله سيكون الأمر بهذه المثابة، لو فُتح للناس هذا الأمر فإنّه سوف يعمى على الناس تمامًا الدين الذي جاء به نبيّنا محمد ﷺ.

وربُّنا جَلَّ وَعلا يقول: ﴿**اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ**﴾ [الأعراف: 3].

اتبعوا ماذا؟ اتبعوا البدع الحسنة؟ اتبعوا ما استحسنته عقولكم؟ اتبعوا ما أملته عليكم أهواؤكم؟ هكذا الآية؟ ﴿**اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ**﴾.

أيُّ شيء خلاف ما أُنزل إلينا من ربنا فإنه لا يجوز التقرب إلى الله به ولا يجوز اتباعه. الآية والحديث الصحيح هاذان هما الحجة، هاذان هما اللذان يقربان إلى الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى، وما سوى ذلك والله إنه تعب بدون فائدة، بل يترتب عليه جزاء من الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى.

يعني: الذي يفعل بدعة ماذا يريد؟ يريد الثواب؟ اعلم أنه لا ثواب في بدعة.

ما الدليل؟ قال النبي ﷺ كما في الصحيحين: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ»؛ يعني: مردود.

قال يحيى بن يحيى الليثي رَحِمَهُ اللَّهُ تلميذ الإمام مالك راوي الموطأ، قال: ليس في خلاف السنة رجاء ثواب.

يعني: لا ثواب في هذا العمل، تتعب وتكدح والنهاية لا شيء، بل ينتظرك جزاء من الله؛ لأن النبيَّ ﷺ قال: «وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ».

إذن لماذا يكدح الإنسان؟ ولماذا يتعب في شيء لا خير من ورائه، ولا ثمرة تنتج منه؟

✓ **أقول أخيرًا أمر خامس في شأن البدعة الحسنة:** نقول لهؤلاء المحسِّنين للبدع: إذا كانت البدعة الحسنة أمرًا حسنًا، فما رأيكم أن نستحسن بدعة ترك البدعة الحسنة؟

يعني: إذا كان يجوز للإنسان أن يحدث بدعة حسنة، إذن دعونا نتفق على بدعة حسنة جميلة وهي أن نترك البدعة الحسنة فتأتلف قلوبنا ونجتمع على كتاب ربنا وسنة نبيه ﷺ.

أخيرًا: اعلموا أنّ لنبينا ﷺ حوضين: حوضا في الدنيا، وحوضا في الآخرة. من شرب من حوض الدنيا شرب من حوض الآخرة، ومن أكثر فإنه سيُكثر، ومن استقلَّ فإنه سيُقِلُّ.

حوضه في الدنيا سنَّته عَليهِ الصَّلَاةُ والسَّلَام، وحوضه في الآخرة ذاك الحوض العظيم الذي يضعه الله جَلَّ وَعلا في عرصات القيامة إكرامًا لنبيه عَليهِ الصَّلَاةُ والسَّلَام يشرب منه المتبعون لسنته، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا.

أسأل الله جَلَّ وَعلا أن يجعلني وإياكم من المتبعين حقًا وصدقًا لنبينا الكريم محمدًا ﷺ.

اللهم اجعلنا من أنصاره ومن متبعي سنته عَليهِ الصَّلَاةُ والسَّلاَم.

اللهم اجعلنا من المحبين الصادقين له، وأسأله جَلَّ وَعلا أن يجعلنا ممن يتبع سنته عَليهِ الصَّلَاةُ والسَّلاَم ولا يحيد عنها قيد شعرة، إنّ ربنا لسميع الدعاء.

وصلّى الله وسلّم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان.